RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

التقرير الشهري

تقرير الحالة الإيرانية

نوفمبر وديسمبر 2023

نافذتك على إيران من الداخل والخارج

ISSN 1658-8320

التقرير الشهري

تقرير الحالة الإيرانية

نوفمبر وديسمبر 2023م

رقم ردمد: 8320 - 1658

WWW.RASANAH-IIIS.ORG
Rasanah_iiis
info@rasanahiiis.com
+966112166696

حقوق النشر محفوظة، ولا يجوز الاقتباس من موادّ التقرير دون إشارة إلى المصدر، كما لا يجوز إعادة نشر المادة دون موافقة إدارة المعهد.

المحتويات

الملخص التنفيذي 04

تطورات الشأن الداخلي الإيراني 06

صفقات شاي مشبوهة تكشف عن فساد مالي بمليارات الدولارات 08

تداعيات الأداء الاقتصادي في 2023م.. أزمات اقتصادية وتحديات معيشية 10

سخط شعبي إيراني من تزايد أعداد المهاجرين الأفغان 16

الحوزة والمسألة الفلسطينية.. شرعية الداخل وبراغماتية الخارج 17

التفاعلات الإيرانية-العربية 20

الإدراك الإيراني للعلاقات الخليجية والقوى الكبرى 21

عودة التوتر من جديد بفعل الهجمات الميليشياوية للأهداف الأمريكية بالعراق 24

ارتدادات استمرار حرب غزة على المشهد السوري 26

علاقات إيران بالقوى الإقليمية والدولية 30

اتجاهات العلاقات الأمريكية-الإيرانية بعد حرب إسرائيل على غزة 32

■ الملخص التنفيذي

شهدت إيران خلال شهري نوفمبر وديسمبر 2023م، جملة من التطورات والأحداث المتسارعة في مختلف المستويات السياسية والاقتصادية الاجتماعية والأيديولوجية، أما العلاقات الإيرانية مع المحيطين العربي والدولي فقد كانت هي الأخرى حافلة بالتفاعلات المتشابكة التي يُتوقع أن تُلقي بظلالها على علاقات إيران الخارجية خلال الفترة القادمة.

داخليًا، وعلى المستوى السياسي، كشفت تحقيقات هيئة التفتيش الإيرانية عن واحدة من أكبر عمليات الفساد في إيران، وهي تورط مجموعة «دبش للزراعة والصناعة»، وهي إحدى الشركات المسؤولة عن استيراد الشاي، في عملية فساد قدرت بأكثر من 3 مليارات دولار. أثارت هذه القضية جدلًا واسعًا في إيران، ووجدها الإصلاحيون فرصة مواتية لتوجيه سهام النقد لحكومة إبراهيم رئيسي وداعميها من التيار المحافظ. ورغم تأكيدات الخبراء بأن نسبة كبيرة من هذا الفساد حدثت خلال فترة الحكومة الحالية، لكن وسائل الإعلام التي يديرها المحافظون وجّهت أصابع الاتهام إلى الحكومة السابقة برئاسة حسن روحاني، وعملت على تبرئة ساحة رئيسي ووزراء حكومته من الفساد، بل وأثنت على دورهم في الكشف عن المتورطين في العملية.

اقتصاديًا، كشفت المؤشرات الاقتصادية الكلية لإيران خلال عام 2023 الصادرة بنهاية شهر ديسمبر، عن صعوبة الوضع الاقتصادي والمعيشي في إيران خلال عام 2023، وتمثلت هذه المؤشرات في النمو الاقتصادي المتواضع الذي لم يتعد 3% وتراجع نصيب الفرد منه لسنوات للوراء، وكذلك الوضع المالي والنقدي شديد الحرج حتى مع تحسن صادرات النفط، ومستويات مرتفعة للغاية للأسعار اقتربت من 50%. ومن ثم انعكاس هذا الأداء على المجتمع في ارتفاع مستويات الفقر وسوء التغذية بين السكان، وبطالة تفوق 40% بين فئة التعليم العالي، مع استمرار التأثيرات السلبية للعقوبات الأمريكية في الاقتصاد الإيراني.

وبناء عليه، لا يُتصوَّر أن تُعالَج التحديات الاقتصادية والمالية المتراكمة بشكل سريع، أو تكون ذات أثر ملموس معيشيًّا خلال عام 2024م، حتى مع زيادة صادرات النفط، إلا إذا جرى رفع العقوبات والإفراج عن احتياطات إيران الخارجية.

على الصعيد الاجتماعي، باتت الهجرة غير الشرعية للمواطنين الأفغان معضلة تؤرق إيران، نظرًا لتأزم الوضع الأفغاني وعدم وجود أي مؤشرات استقرار سياسي على المدى القريب والمتوسط، ما يعني استمرار تدفق الهجرة إلى إيران التي تعاني بدورها من مشكلات اقتصادية وتدهور مستوى معيشي، وبات يُنظر إلى قضية المهاجرين على أنها تهديد للأمن المجتمعي، لذا توجد هواجس ببروز ظاهرة العنصرية ضدهم، وسط دعوات لضرورة أن تنتهج الحكومة مقاربات متنوعة لحل هذه المسألة.

أيديولوجيًا، سعت إيران إلى الاستفادة من القصوى من حرب غزة، ليس فقط سياسيًّا عبر إعادة ترميم صورتها المهتزة منذ الحرب السورية، أو عسكريًّا عبر تعزيز أذرعها في الإقليم باعتبارها مقاومة ضد العدو الأول للعرب والمسلمين، بل عملت على الجانب الفكري والأيديولوجي لنسف المقولات الغربية حول حقوق الإنسان والحريات، وتبرير روايتها بحقّ الغرب، وعدائها لنهجه ومنهجه، لكن هذا لم يمنع الإيرانيين استعمال قدر من البراغماتية، ظَهَر في أثناء نفي المرشد بنفسه عن إيران التهديد بإلقاء إسرائيل في البحر. في ذات السياق التوظيفي لتحقيق أكبر قدر من الاستفادة، زعم الإيرانيون أن عملية طوفان

الأقصى كانت من جملة عمليات الثأر لمقتل قاسم سليماني، قبل أن يُنكروا الخبر بعد نفي حماس، التي أصر بعض رجال الدين على أنها ابنة الفكر البسيجي!

العلاقات الخارجية الإيرانية مع المحيطين العربي والدولي، كانت حافلة بالتطورات والأحداث المهمة خلال شهري نوفمبر وديسمبر 2023. عربيًّا وعلى مستوى **التفاعلات الإيرانية الخليجية**، يمكن القول إن علاقات إيران مع القوى الكبرى يغلب عليها التوجس والتوتر، سواء حلفاء أو أعداء، وهذا نتيجة عقدة القوة الكبرى التي تختزنها الثقافة الفارسية من ماضيها الإمبراطوري. وتعبر طهران عن ذلك بشكل أكبر حين يكون الضلع الثالث في العلاقة هو دول الخليج العربي، هذا ما كشفه تفاعل النخب الإيرانية خلال شهر ديسمبر مع الموقف الروسي والصيني مع قضية الجُزُر الإماراتية المحتلة وأول اجتماع ثلاثي لتقييم الاتفاق السعودي-الإيراني في بكين.

على **الصعيد العراقي**، عاد التوتر من جديد إلى الساحة العراقية بفعل هجمات المليشيات المسلحة الموالية لإيران ضد الأهداف الأمريكية بذريعة ردع الولايات المتحدة لتقديمها الدعم العسكري لإسرائيل في حربها الشاملة ضد قطاع غزة، والرد العسكري الأمريكي المضاد لتمركزات المليشيات، ولكن تشير التطورات إلى أن ذريعة المليشيات المتعلقة بالضغط على واشنطن لتضغط على تل أبيب عبر البوابة الأمريكية لوقف حربها في غزة هي التي تقود المليشيات لتنفيذ هجمات ضد الأهداف الأمريكية بالعراق، لم تعد تنطلي على أحد، وإنما الهدف استغلال التوقيت للضغط على القوات الأمريكية وإخراجها من العراق، وبالتالي الحيلولة دون انفرادها بالساحة العراقية، بينما يهدف الرد الأمريكي ضد تمركزات المليشيات لبث رسائل ردع قوية لإيران ومليشياتها، وإمكانية تحويل وجهة الرد الأمريكية من الساحة السورية إلى العراقية، بعدما كانت الساحة السورية هي الأساس في توجيه الضربات والرسائل الأمريكية لإيران.

أما على صعيد **الحالة السورية**، فتناول التقرير لشهري نوفمبر وديسمبر لعام 2023م، تحليلًا لارتدادات حرب غزة على المشهد السوري في ملفي تجدد التوترات على الخط الحدودي الفاصل بين سوريا والأردن وعودة عمليات تهريب المخدرات والسلاح بشكل متصاعد، والدلالات والرسائل التي تسعى الأطراف الواقفة خلف هذه العمليات إلى توجيهها إلى عَمَّان. في المقابل تعد حملة الاستهدافات الإسرائيلية على مواقع النفوذ الإيرانية في سوريا حدثًا اعتياديًّا، ولكن تمثل عملية مقتل القيادي الإيراني الأبرز رضا موسوي حدثًا وتطورًا مُهمًّا على صعيد تبادل الرسائل الإسرائيلية مع إيران داخل سوريا وخارجها.

وعلى صعيد علاقة إيران بالقوى الدولية، فقدت دفعت تطورات حرب غزة **بالولايات المتحدة وإيران** نحو مزيد من السياسات العدائية، وقد أفادت هذه الحرب إيران من جهة تأكيد وجاهة موقفها من العداء للولايات المتحدة، فضلًا عن توظيف أحداثها الدامية لعملية حشد وتعبئة مناهضة للولايات المتحدة داخليًّا وعلى الصعيد الدولي، وتجاهل المفاوضات النووية والعودة إلى سياسة الغموض النووي، لكنها في الوقت نفسه تترقب بحذر شديد التحركات العسكرية الأمريكية في المنطقة، واستهدافها المليشيات المحسوبة على إيران في العراق ولبنان، فضلًا عن المواجهة مع الحوثيين، وتتحسب إيران للتهديدات الأمريكية، ومع أن الطرفين يحشدان قوتهما وحلفاءهما، فإنهما لا يرغبان في مواجهة مباشرة ومتسعة، مع ذلك فإن التطورات قد تجعل الطرفين أمام مواجهة حتمية.

تطورات الشأن الداخلي الإيراني

شهدت إيران داخليًّا عديدًا من التطورات على المستويات السياسية والاقتصادية والأيديولوجية، ويمكن رصد أبرز التطورات هذه على مستويات خلال شهري نوفمبر وديسمبر 2023م، من خلال تناول القضايا التالية:

- صفقات شاي مشبوهة تكشف عن فساد مالي بمليارات الدولارات
- تداعيات الأداء الاقتصادي في 2023م.. أزمات اقتصادية وتحديات معيشية
- سخط شعبي إيراني من تزايد أعداد المهاجرين الأفغان
- الحوزة والمسألة الفلسطينية.. شرعية الداخل وبراغماتية الخارج

■ صفقات شاي مشبوهة تكشف عن فساد مالي بمليارات الدولارات

عاد الجدل في إيران من جديد حول ظاهرة الفساد المستشري منذ عقود في مؤسسات النظام الإيراني، بعد الكشف عن تورط إحدى الشركات المسؤولة عن غالبية واردات الشاي الإيراني، في عملية فساد قدرت بـ3 مليارات و370 مليون دولار، وأثارت هذه القضية جدلًا واسعًا في الشارع الإيراني وحظيت بمتابعة واسعة في وسائل الإعلام، كما شكّلت فرصةً مواتية للتيارين الإصلاحي والمحافظ لتوجيه الانتقادات والاتهامات لبعضهما البعض بالتقصير والتسبب في هذه القضية. في هذا التقرير نسلط الضوء على هذه القضية وموقف الإصلاحيين والمحافظين منها.

أولًا: ملابسات قضية الفساد وفقًا لتحقيقات هيئة التفتيش الإيرانية

برزت قضية الفساد الأخيرة على السطح، بعد أن كشفت التحقيقات التي أجرتها هيئة التفتيش في إيران، أن إحدى الشركات الخاصة المسماة مجموعة "دبش للزراعة والصناعة"، تلقّت خلال الفترة من 2019 إلى 2022م عملات أجنبية من الحكومة بسعر مدعوم أي أقل بكثير من السوق السوداء، بغرض استيراد شاي وآلات الطباعة والتعبئة المتطورة، بقيمة 3 مليارات و370 مليون دولار. لكنها باعت مليارًا و400 مليون دولار في السوق الحرة لتحقيق مكاسب كبيرة وسريعة، وبدلًا من تخصيص هذه العملات الأجنبية المدعومة لاستيراد الشاي الهندي المرغوب في السوق المحلي، قامت باستيراد شاي كيني منخفض الجودة بالجزء الباقي، وذلك خلال سنوات عملها بالسوق[1] .

وأوضح رئيس هذه الهيئة ذبيح الله خدائيان أن كمية الشاي المطلوبة بالبلاد نحو 100 ألف طن سنويًا، منها نحو 70% مستوردة، وأضاف أنه في حين تعمل نحو 100 شركة صناعية وتجارية في استيراد الشاي فإن معظم الواردات تتم بواسطة شركة واحدة فقط، وهي شركة "دبش للزراعة والصناعة[2]" .

من جانب آخر، تداول الإعلام الإيراني غير الرسمي معلومات أخرى جاء فيها أن "دبش" تمكّنت من بيع الشاي الذي يبلغ سعره دولارين بسعر يتراوح بين 14 و20 دولارًا للكيلو، وكشف الإعلام المحلي أنه خلال هذه السنوات تمكّنت "دبش" من استيراد الشاي لفائدة وزارات الزراعة والتجارة والصناعة والاقتصاد، ومؤسسات مثل البنك المركزي والجمارك ومنظمة تنمية التجارة وهيئة المواصفات والمقاييس وهيئات أخرى. وأشارت التوضيحات إلى أن العملة الأجنبية اللازمة لاستيراد الشاي في كل من هذه الوزارات والمؤسسات قدِّر بنحو 240 مليون دولار سنويًا، إلا أن "دبش" حصلت على عملة مدعومة بقدر ما تحتاجه البلاد من الشاي لمدة 14 عامًا[3] .

ثانيًا: ردود الأفعال الداخلية على قضية الفساد

حظيت قضية شركة دبش، بمتابعة واسعة، سواءً من قبل الشارع الإيراني أو من قبل وسائل الإعلام المختلفة، ووصفها المنظّرُ الإصلاحي عباس عبدي بزلزال يبلغ مداه 8 درجات هز شعارات مكافحة الفساد وتوقع استمرار الهزات الارتدادية لهذا الزلزال، لكنه يرى أن هناك ما

(1) راديو فردا، سازمان بازرسی کل کشور از کشف فساد «دو میلیارد دلاری» در واردات چای خبر داد، (11 آذر 1402هـ.ش)، تاريخ الاطلاع: 1 يناير 2024م، https://2u.pw/P3ywO0J

(2) خط تولید فساد، وزارت جهاد کشاورزی چگونه به خط تولید فساد تبدیل شد؟، (25 آذر 1402ه.ش)، تاريخ الاطلاع: 01 يناير 2024م، https://2u.pw/tR00Pgi

(3) چای داغی که سفره مردم را سوزاند/ مسیر سبز برای فساد 3.37 میلیارد دلاری «دبش» + ویدئو، (14 آذر 1402ه.ش)، تاريخ الاطلاع: 3 يناير 2024م، https://2u.pw/wB5T2b1

هو أسوأ من هذا الفساد، وهو تضليل الرأي العام، ورأى أن أصل المشكلة تمكن في أيدي من يتبنون محاربة الفساد، لكنهم لا يفهمون سبب الفساد ولا حتى معناه الدقيق[4].

وفي ذلك إشارة واضحة للرئيس إبراهيم رئيسي وحكومته التي رفعت شعار محاربة الفساد منذ توليها الحكم في أغسطس 2021م، كما اتهمت صحف إصلاحية أخرى مسؤولين كبار في حكومة إبراهيم رئيسي بالتورط في هذا الملف، وذهبت صحيفة اعتماد إلى أن 60 شخصًا من المسؤولين السابقين في حكومة رئيسي الحالية متورطون في هذه القضية وعُزلوا لأسباب مجهولة بعد أن تولوا مناصب في الحكومة الحالية[5].

للرد على هذه الاتهامات، سارعت الصحف المقربة من حكومة إبراهيم رئيسي إلى تبرئتها من هذه الفضيحة بقولها إنه تم الكشف عن هذه الصفقات المشبوهة في فترة رئيسي، موجهةً أصابع الاتهام إلى الحكومة السابقة برئاسة حسن روحاني، واعتبر محافظون آخرون بأن حكومة رئيسي هي أفضل حكومة حاربت الفساد في إيران، ما أعلنت الحكومة عن تشكيل 20 ملفًا لدى الجهات القضائية وتم عزل 60 مديرًا، من المتورطين في هذا الفساد الكبير[6].

يخشى الرأي العام الإيراني من التغطية على قضية الفساد الأخيرة لوجود تصور عام في إيران بأن عمليات الفساد تتم بعلم ودراية بعض المؤسسات بالنظام الإيراني، ولكون المتورطين فيها من المسؤولين الحكوميين أو أقربائهم، وذلك على غرار حالات الفساد والاختلاسات وملفات الفساد التي شهدتها إيران خلال السنوات الماضية، مثل اختلاس 123 مليار تومان والمتعلق ببنك "صادرات" وقضية الفساد المالي لشهرام جزائري المقرب لبيت المرشد واختلاس محمود خاوري الرئيس السابق لبنك ملي إيران والذي بلغ 3 آلاف مليار تومان وقضية بابك زنجاني واختلاس صندوق المعلمين الذي بلغ 8 آلاف مليار تومان[7].

هذا فضلًا عن قضايا فساد أخرى، كقضية الفساد المالي لبنك "آريا" في عام 2011م، التي بلغت 3 آلاف مليار تومان (700 مليون دولار)، قضية استيراد فول الصويا التي بلغت 700 مليون دولار، قضية وحيد مظلومين التي عرفت بقضية "سلطان الذهب" التي بلغت 14 ألف مليار تومان (مليار دولار)، الفساد المالي والاقتصادي المتعلق ببنك "تات" والتي بلغت 5.3 مليار دولار، الفساد المالي الذي شهده البنك المركزي والمتعلق بالعملة الصعبة (الدولار) والذي بلغ 4 مليارات دولار، قضية مديري شركات البتروكيماويات في عام 2019م التي بلغت 11 مليار دولار، وقضية مجموعة "عظام" لقطع غيار السيارات التي بلغت 764 مليون دولار[8].

بعد اشتداد الانتقادات للحكومة، حاول المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، تكميم أفواه المنتقدين عبر مطالبته لوسائل الإعلام المختلفة بالتوقف عن الحديث عن ملفات

---

(4) اسامی مدیرانی که در پرونده فساد 3.7 میلیارد دلاری عزل کردید را اعلام کنید، (15 آذر 1402ه.ش)، تاریخ الاطلاع: 03 يناير 2024م، https://2u.pw/fkczCEj

(5) إيران إنترناشيونال، صحف إيران: تورط 60 مسؤولاً حكوميًا في «فساد شركة الشاي» وهجوم على الكويت بسبب «حقل الدرة» (12 ديسمبر2023م)، تاريخ الاطلاع: 04 يناير 2024م، https://2u.pw/dWzejuv

(6) نفس المصدر.

(7) إندبندنت عربية، الاختلاس سمة المسؤولين في النظام الإيراني، (09 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 04 يناير 2024م، https://2u.pw/fBOe9hY

(8) 94 مليار دولار إجمالي الفساد المالي في إيران خلال 12 عامًا، (19 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 05 يناير 2024م، https://2u.pw/EVHeaj8

الفســاد التي تحولت إلى قضيــة أمن قومي[9]. وهو ما عرَّضه لانتقادات واسعة في إيران واتُهم بحرمان الشعب من تملك الحقائق والتستر على المتورطين في عمليات الفســاد، والتغطية على تقصير حكومة إبراهيم رئيسي في هذا الشأن.

خلاصة

على الرغم من الســخط الشــعبي والاتهامات والانتقادات الواســعة التي تعرَّضت لها حكومة إبراهيم رئيســي بعد الكشــف عن هذا الفساد الكبير، وتأكيدات الخبراء الاقتصاديين بأن 80 في المئة من هذا الفساد، تم في فترة الحكومة الحاليــة، لكــن السياســة الإعلاميــة للنظــام الإيراني، تســعى جاهدةً لتبرئة ســاحة حكومة رئيســي عبــر الترويــج لدورها في كشــف هذا الفســاد وتعاملها الحازم مع المتورطين وتعليق كل القضية على شماعة حكومة حسن روحاني. ويبدو أن النظام الإيراني يخشــى من احتمالية أن تكــون هــذه القضيــة بمثابــة شــرارة لعودة الضغوط الشعبية والاحتجاجات ضد الحكومة، خاصةً فــي ظل الأوضــاع الاقتصادية الحرجة التي تمر بها إيران، كما أن الكشــف عن قضية فساد بهذا الحجم يشكل حرجًا كبيرًا لإبراهيم رئيســي الذي رفع شــعار القضاء على الفســاد في إيران منذ تعيينه رئيسًــا للسلطة القضائية فــي 2019م، وكذلــك بعد توليه منصب رئاســة الجمهورية في 2021م.

(9) جهان صنعت، در مقابله با رییس‌جمهوری؟ (20 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 05 يناير 2024م، https://2u.pw/jUau6VY

■ تداعيــات الأداء الاقتصادي في 2023م.. أزمات اقتصادية وتحديات معيشية

يتناول التقرير الحالي لشهري نوفمبر وديسمبر، تقييــم الوضــع الاقتصادي لإيران خــلال العام 2023م، من خلال أهم المؤشرات الكلية والتي يتضح الكثير منها مع اصدار إحصاءات مجمعة في شــهر ديسمبر، مثل معدل النمو الاقتصادي وجــودة حيــاة الإيرانييــن، ومعدلات الأســعار، والوضع المالي والنقدي والتجاري للبلاد.

أوّلًا: معدل النمو الاقتصادي وجودة الحياة خلال العام

جــرت العــادة علــى تباين الإحصــاءات الاقتصاديــة الصــادرة عــن المؤسســات الإيرانيــة الرســمية، وبخاصــة معــدلات النمــو الاقتصــادي، ولذلــك يكثــر الاستشــهاد

شكل (1): نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي (%) خلال السنوات (2015-2024م)

المصدر: IMF, World Economic Outlook, October 2023

بإحصاءات المؤسسات الدولية في هذا الشأن. إذ كشف مركز الإحصاء الإيراني في شهر ديسمبر 2023م، أن النمو الاقتصادي لإيران خلال النصف الأول من العام الهجري الشمسي الحالي، أو صيف عام 1402ه.ش ه.ش (مارس 2023م-سبتمبر 2023م) مقارنة بصيف عام 1401ه.ش بلغ نحو 7.1%. بينما قبل ذلك بأيام قليلة، أعلن البنك المركزي الإيراني المعدل خلال نفس الفترة ب 3.6%، أي بفارق 100% تقريبًا[10]. ويقدر صندوق النقد الدولي معدل نمو الاقتصاد الإيراني بحوالي 3% خلال كامل عام 2023م، ويُظهر الرسم البياني التالي كثرة تذبذبات حجم النمو مقارنة باقتصادات بعض دول الجوار مثل تركيا والسعودية.

وعلى كل حال لم ينعكس النمو الإيجابي المحقق خلال العام في تحسن الأداء الاقتصادي أو مستويات المعيشة؛ فالنمو الاقتصادي في إيران قصير المدى غير متراكم، وغير مستقر بسبب تتابع الأزمات، كما أنه قائم على قطاعات محدودة في خلق فرص العمل كالقطاع النفطي، وليس قائمًا على التوظيف وخلق فرص العمل في مختلف القطاعات الإنتاجية كالصناعة والزراعة والخدمات. ويواجه نمو الاقتصاد الإيراني عقبات عدة؛ إذ أن انخفاض الإنتاجية، وارتفاع التضخم، وسيطرة القطاع العام ومؤسسات النظام الدينية والثورية على الاقتصاد لا تزال تقيد النمو في هذا الاقتصاد، علاوةً على تأثير العقوبات الأمريكية المعرقلة للنمو والأعمال بشكل كبير.

ويكشف تطور نصيب الفرد الإيراني من الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي عن اتجاه مستوى معيشة الإيرانيين عبر الزمن نحو التراجع؛ من 8.3 ألف دولار للفرد الإيراني في عام 2011م، إلى 4.2 ألف دولار فقط في 2023م، وهي معدلات من أقل تلك المسجلة في عامي 2018م و1999م، ما يظهر تراجع مستوى المعيشة خلال 12 عامًا.

ولذا تتسبب هذه التحديات الاقتصادية مجتمعة في ازدياد الاستياء الاجتماعي والاقتصادي على المدى القصير من حين لآخر وكذلك مستقبلًا. كما تسببت في تراجع القدرة الشرائية وتدهور مستويات المعيشة، وزيادة معدلات الفقر التي وصلت وفقًا لتقديرات البنك الدولي التي تؤكد أن 28% من الإيرانيين فقراء، وأصبح خمس الأسر الإيرانية أكثر عرضة لخطر الفقر، وحتى التقارير المحلية الإيرانية تتحدث عن نسب أعلى للفقر تصل إلى 40% من الشعب وفقًا لوزارة العمل الإيرانية.

ثانيًا: مستويات الأسعار

كان عام 2023م من بين أكثر الأعوام التي عانى فيها الجيل الحالي من الإيرانيين من ارتفاعات سعرية كبيرة وضغوط معيشية حادة. فمنذ بداية العام ومعدل التضخم السنوي في مستوى قياسي فاق 50% في يناير (انظر جدول 1) واستمر التضخم السنوي في مستويات مرتفعة وإن تراجع بنهاية العام إلى نحو 44% في ديسمبر وهو قياس متوسط معدلات التضخم للاثني عشر شهرًا الماضية انتهاءً بشهر ديسمبر. وذلك على الرغم من إطلاق المرشد الإيراني على العام الهجري الشمسي الحالي 1402ه.ش (مارس 2023م-مارس 2024م) عام "السيطرة على التضخم"، وسبق أن أعلن الرئيس الإيراني استهداف

(10) ميدل ايست نيوز، «تضارب في إحصاءات النمو الاقتصادي الإيراني بين البنك المركزي ومركز الإحصاء يثير الاستفهام»، (26 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 10 يناير 2024م، https://2u.pw/0QWymjy

التضخم عند مستوى 30% لكن دون التمكن من تطبيق هذا الهدف. بينما سجلت معدلات التضخم الفرعية مستويات أعلى بكثير خاصةً الغذاء والإسكان.

وبحسب تقديرات مركز الإحصاء الايراني، فإنّ أسعار اللحوم كانت الأكثر ارتفاعًا بين المواد الغذائية، وعلى سبيل المثال ارتفعت أسعار اللحوم الحمراء والبيضاء بنسبة 97%؛ أي تضاعفت تقريبًا، بعد تراجع إنتاجها محليًا بنسبة 30%. بينما قدَّر مركز الإحصاء، نمو إيجارات المساكن في ديسمبر مقارنةً بالشهر نفسه من العام الماضي بنحو 40%.

جدول (1): مؤشرات أسعار المستهلكين السنوية خلال الفترة من (يناير-ديسمبر 2023م) مقارنة بالعام السابق:

يناير	%51.3
فبراير	%53.4
مارس	63.9% (تقديري)
مايو	%54.6
يوليو	%47.5
أغسطس	%46.7
سبتمبر	46.1%
أكتوبر	45.5%
نوفمبر	46.9%
ديسمبر	44.4%

المصدر: غرفة تجارة طهران- مركز الإحصاء الإيراني

ثالثًا: الأوضاع المالية والنقدية

وعن الوضع المالي للحكومة، قدَّر صندوق النقد عجز الموازنة لعام 2023م بـِ 5.5% من الناتج المحلي الإجمالي، مرتفعًا من 4.2% العام الماضي. ووفقًا لمنظمة التخطيط والموازنة الإيرانية، فقد حققت الميزانية الايرانية 70% فقط من الإيرادات خلال أول سبعة أشهر من العام المالي الحالي (21مارس21- أكتوبر 2023م)(*)

وفي المقابل من العجز زادت الحكومة الإيرانية من الاقتراض وطبع الأموال، وحدثت زيادة كبيرة في القاعدة النقدية/السيولة، بلغت 42% في يونيو 2023م، مقارنةً بالعام الماضي. وتلجأ الحكومات الإيرانية للاقتراض الداخلي وزيادة السيولة لمواجهة العجز وقد عززت هذه السياسة ارتفاع التضخم، وبلغ ما اقترضته الحكومات الإيرانية المتتالية خلال الـ 12 عامًا الماضية أكثر من 100 مليار دولار على لسان مهدي غضنفري رئيس صندوق التنمية الوطنية (صندوق الثروة السيادي) والذي قال "لقد أقرضنا الحكومات مائة مليار دولار ولا يوجد أمل في إعادة هذه الأموال، كما أن حصة صندوق التنمية الوطنية من عائدات النفط التي كان يفترض أن تكون ما بين 20 - 40%، وصلت إلى أقل من 10%، وأودعت البقية في حساب الحكومات" [12].

جدول (2): متغيرات مالية ونقدية في عام 2023م

عجز الموازنة (% من الناتج المحلي 2023م)	% 5.5
ديون الحكومة لصندوق الثروة السيادي	أكثر من 100 مليار دولار

(*) ومن بين أسباب العجز المالي المبالغة في تقدير صادرات وسعر النفط في الميزانية (افتراض بيع 5.1 مليون برميل/اليوم بسعر 80 دولارًا للبرميل) بجانب احتمالات الإنفاق خارج الميزانية. ونتيجة زيادة الاقتراض الداخلي ارتفع الدين العام الإيراني من 49 مليار دولار إلى 120 مليار دولار خلال العاميين السابقين.

(12) راديو فردا، «رئيس صندوق توسعه ملی: صد میلیارد دلار به دولت‌ها قرض داده‌ایم؛ امیدی به بازگشت این پول نیست»، (6 دي 1402هـ.ش). تاريخ الاطلاع: 10 يناير 2024م، https://2u.pw/O0QIkCs

زيادة القاعدة النقدية (يونيو 2023م بأساس سنوي)	% 42
الديون الحكومية (حتى مارس 2023م)	30 % من الناتج المحلي الإجمالي
الدين الخارجي (2023م)	10.8 مليار دولار

المصدر:IMF- Economist - - منظمة التخطيط والموازنة الإيرانية- رئيس صندوق التنمية الوطني

وفي ما يتعلق بأسعار الصرف، شهد العام 2023م تراجعًا حادًا في قيمة التومان الإيراني مقابل العملات الأجنبية، على الرغم من محاولات الحكومة السيطرة على الوضع(*)[13]. وارتفع سعر صرف الدولار بالسوق الحرة من 40 ألف تومان في بداية العام، إلى 60 ألف تومان في مارس، قبل أن يتراجع إلى تحت 50 ألف تومان مع تأثير الوساطة العمانية للوصول للاتفاق نووي مع الولايات المتحدة، ثم يرتفع مرة أخرى إلى 52 ألف تومان في نوفمبر 2023م متأثرًا بأحداث غزة. (انظر شكل 2).

وعامةً شكَّل عام 2023م حلقةً جديدة في سلسلة التراجعات الحادة للعملة الإيرانية مقابل ارتفاع الدولار منذ عام 2018 - بأكثر من 15 ضعفًا - (انظر شكل 3) واستمرارًا لخط الانحدار المستمر منذ عام 1992(*)[14]. وتتأثر أسعار الصرف بقيود الوصول إلى الاحتياطات المجمدة بالخارج التي تتخطى 100 مليار دولار.

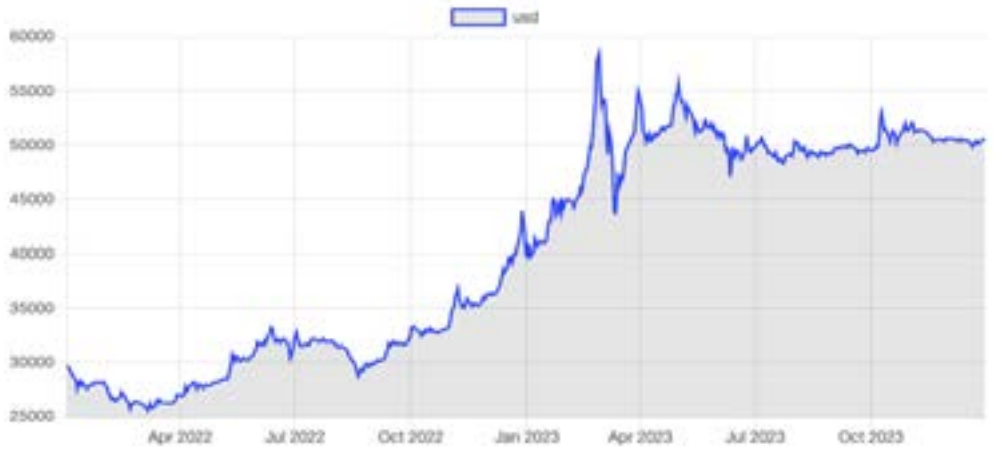

شكل (2): أسعار صرف الدولار الأمريكي مقابل التومان خلال العام 2022/2023م بالسوق الحرة

(13) (*) مثل عزل محافظ البنك المركزي وتعيين آخر جديد، وإنشاء مركز «صرف العملات الأجنبية والذهب» في فبراير 2023م، بهدف تقديم سعر صرف للعملات الأجنبية قريب من سعر السوق، لكنه مع هذا يظل سوقًا مدار ولم ينجح في السيطرة على الأسعار بالسوق الحرة أو تقليل الفجوة بين السعرين: السعر الحر للدولار فوق 50 ألف تومان/دولار، وسعر مركز صرف العملات البالغ حوالي 43 ألف تومان/ للدولار.

(14) (*) جدير بالذكر أن سعر صرف الدولار كان يعادل سبعة تومان فقط في عام 1979م، واستمر كذلك حتى عام 1992م.

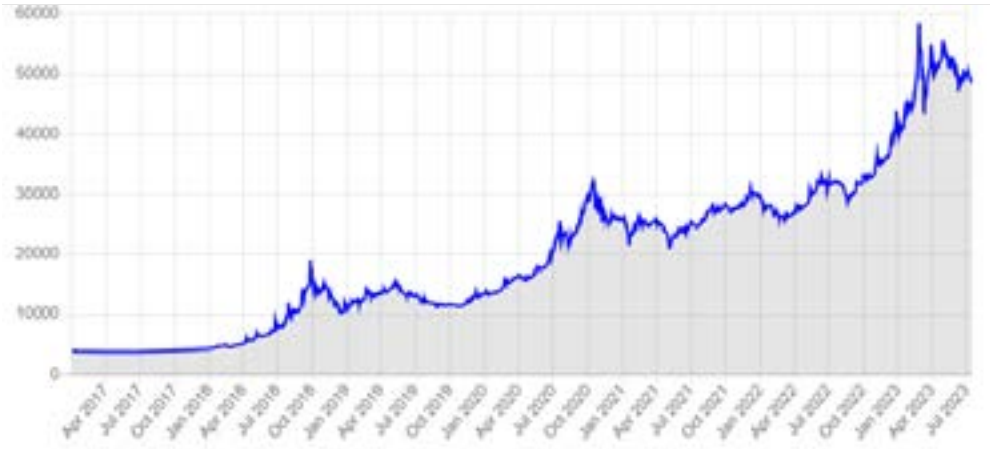

شكل (3): أسعار صرف الدولار الأمريكي مقابل التومان (2017-2023م) بالسوق الحرة

رابعًا: الوضع التجاري لإيران

صدَّرت إيران خلال عام 2023م قرابة 533 مليون برميل من النفط (بنمو 27% مقارنةً بعام 2022م)، وجنت إيرادات ما بين 70 إلى 80 مليار دولار. وكان نصيب الصين وحدها من الصادرات حوالي 83% أي قرابة 640 مليون برميل من إجمالي ما صدَّرته إيران خلال العام. وبلغ متوسط صادرات إيران اليومية خلال عام 2023م قرابة مليون وأربعمئة ألف برميل يوميًا (انظر شكل 4) وهو أعلى معدل منذ

شكل (4): تقديرات صادرات إيران من النفط ومكثفات الغاز (يونيو-ديسمبر 2023م) بالألف برميل/اليوم

مصدر البيانات: United against nuclear Iran, Iran Tanker Tracking إعداد: رصانة

سنوات. ومع هذا لم تعُد بعد صادرات النفط لمستويات ما قبل العقوبات الأمريكية البالغة 2 مليون وخمسمئة ألف برميل يوميًا. لكن من ناحية أخرى، لا تتمكن إيران من الحصول على غالبية أموالها بشكل نقدي، وتضطر لمقايضة أموالها بالبضائع التي تحتاج إليها محليًا من كبار الشركاء التجاريين مثل الصين والهند وغيرهما، علاوةً على تكلفة الالتفاف على العقوبات، وتقديم خصومات سعرية لتسويق نفطها المحظور، ما يقوّض الموقف التفاوضي للحكومة ويضيع أموالًا الدولة.

وعلى العكس من فائض التجارة النفطية لإيران، تحقق تجارة إيران الخارجية غير النفطية عجزًا متزايدًا مع تنامي الفجوة فيما بين صادرات وواردات البلاد غير النفطية، وتعدَّت الفجوة 12 مليار دولار خلال التسعة أشهر المنصرمة من العام الشمسي 1402ه.ش (21 مارس - 20 ديسمبر)، بوجود صادرات بقيمة 36.4 مليار، وأكثر من 48.4 مليار دولار من. وكان أكبر شركاء لتجارة إيران غير النفطية هم: الصين والإمارات والعراق وتركيا والهند الواردات (انظر جدول 3). وكانت أهم الصادرات: المشتقات البتروكيماوية (البروبان والميثانول والبولي ايثيلين والبنزين)- سبائك الحديد والصلب ومنتجاتها والألومنيوم- الزيوت المعدنية- الغاز الطبيعي المسال. بينما أهم الواردات: القمح- الأرز- الجوالات- الذرة- فول الصويا- الزيوت- السكر- الفحم- الأعلاف- مكونات سيارات.

جدول (3): قيمة صادرات وواردات إيران مع أكبر شركاء التجارة (خلال الفترة من 21 مارس – 20 ديسمبر 2023م)

صادرات		واردات	
الصين	10.3 مليار دولار	الإمارات	15مليار دولار
العراق	6.9 مليار دولار	الصين	13.7 مليار دولار
الإمارات	4.7 مليار دولار	تركيا	5.3 مليار دولار
تركيا	3.3 مليار دولار	ألمانيا	1.6مليار دولار
الهند	1.7 مليار دولار	الهند	1.4 مليار دولار

المصدر: الجمارك الإيرانية

الخلاصة:

يتضح لنا مما سبق أن الأداء الاقتصادي لإيران في عام 2023م كان ضعيفًا في المجمل من حيث النمو الاقتصادي والوضع المالي والتجاري للدولة، فيما عدا تحقيق نمو ملحوظ لصادرات النفط الإيرانية للخارج مقارنةً بالعام الماضي، مع محاولة فتح أسواق تجارية جديدة بالانضمام للتكتلات الاقتصادية مثل بريكس. بينما على المستوى المعيشي كان الوضع سيئًا للغاية، فلم يكن هناك أثر إيجابي ملموس للنمو الاقتصادي المحدود على مستوى معيشة الإيرانيين، بالتوازي مع استمرار التأثيرات السلبية للعقوبات الأمريكية على الاقتصاد الإيراني، وسيمتد أثرها إلى العام المقبل طالما لم يتم رفعها أو تخفيفها.

■ سخط شعبي إيراني من تزايد أعداد المهاجرين الأفغان

تصدَّرت العناوين في مختلف وسائل الإعلام الإيرانية، أزمة المهاجرين غير الشرعيين من أفغانستان، نظرًا لتزايد عددهم بشكل كبير جدًا، وهو ما كان له انعكاسات في مختلف النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والسياسية، في الوقت الذي يعاني فيه المجتمع الإيراني من ظروف معيشية قاهرة؛ دفعت البعض إلى تحميل مسؤوليتها للمهاجرين مما بات يُنذر ببروز نزعة عنصرية في المجتمع تجاه المهاجرين. دفعت هذه التطورات السلطات الإيرانية إلى انتهاج سياسات الترحيل وغيرها من الإجراءات. وقد تباينت ردود الفعل داخل إيران بين مؤيد ومعارض، لكون الظاهرة أضحت من أهم التحديات التي تواجه البلاد.

أولًا: الهجرة غير الشرعية وتداعياتها داخل إيران

عانت إيران من تزايد المهاجرين الأفغان غير الشرعيين، إذ تجاوزت أعدادهم 10ملايين حتى نهاية 2022م[15] ، في الوقت الذي تعاني فيه إيران من تردي الأوضاع الاقتصادية وارتفاع معدلات التضخم، والبطالة وغيرها من المشكلات في شتى قطاعات البلاد، نتيجةً للعقوبات الأمريكية، وفشل السياسات الحكومية في انتشال البلاد من كبوتها الاقتصادية المتعاظمة. نتيجةً لذلك غدت قضية المهاجرين غير الشرعيين الشغل الشاغل للإيرانيين خلال الفترة الأخيرة، حيث يثيرون مخاوف من إحداث تغير في التركيبة السكانية، والهيكل الاقتصادي، وأمن البلاد؛ نظرًا لارتفاع معدلات الجريمة، وإن كان لوجودهم في المقابل أدوار إيجابية على غرار ملء فراغ وسد النقص في بعض القطاعات[16]، كونهم يعملون في مختلف المهن، وبأقل الأجور، ودون حماية قانونية أو تامين أو تقاعد[17] ، إلا أنهم في الوقت نفسه حرموا المواطن الإيراني من فرص العمل، كما تحايل المهاجرون غير الشرعيين من الأفغان، وأدخلوا أطفالهم إلى المدارس الإيرانية، للحصول على الإقامة الشرعية، ووسَّع ذلك من حجم الأزمة في القطاع التعليمي والمشاكل المالية التي تشكِّل أحد أهم التحديات[18] .

ثانيًا: ردود الفعل المتباينة وموقف إيران في التعامل مع المهاجرين الأفغان

يتعرَّض المهاجرون الأفغان إلى هجمات عنيفة، كما قامت مجموعة ملثمة تحمل العصي في أيديها بمهاجمة منازل عدد من المهاجرين الأفغان، وبذلك تحول الجدل الدائر حول هذه القضية إلى دائرة العنف، كتعبير عن سخط وغضب أطياف من الشعب الإيراني، من وجود المهاجرين الأفغان على الأراضي الإيرانية[19] ، لكن تباينت ردود الفعل

(15) موقع الجزيرة نت، المهاجرون الأفغان في إيران.. تداعيات اجتماعية لأزمتي السياسة والاقتصاد، (27 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 29ديسمبر2023م، https://bit.ly/3S1NL7t

(16) موقع MDEAST NEWS، إيران والمهاجرون الأفغان.. عندما يتحول العمل الإنساني إلى أزمة، (01 أكتوبر2023م)، تاريخ الاطلاع: 15 نوفمبر 2023م، https://bit.ly/3So9vek

(17) موقع دنيا اقتصاد، واكنش به موج أخير نژادپرستى،(14 أكتوبر2023م)، تاريخ الاطلاع: 22 نوفمبر 2023م، https://bit.ly/49oCc0w

(18) موقع MDEAST NEWS، إيران والمهاجرون الأفغان..عندما يتحول العمل الإنساني إلى أزمة، (01 أكتوبر2023م)، تاريخ الاطلاع: 22 نوفمبر 2023م، https://bit.ly/3So9vek

(19) موقع برترين ها، حمله به خانه مهاجران أفغان با چماق و چهره‌هاى پوشيده، (15اكتوبر2023م)، تاريخ الاطلاع :26 نوفمبر 2023م، https://bit.ly/3QlPBxT

الإيرانية في التعامل مع هذه القضية، فلقد أعرب أكثر من 540 ناشطًا عن تضامنهم مع المهاجرين الأفغان، وصرَّحوا بأن هناك حسابات تواصل اجتماعي تنشر مواد غير صحيحة، من خلال سلوكيات وخطب عنصرية، تقدم المهاجرين الأفغان على أنهم سبب مشاكل المعيشة وانعدام الأمن في إيران، ويلقون اللوم على قصور النظام الإيراني في الحد من مختلف الأزمات التي تصيب البلاد، أما المعارضين فرفضوا ما طرح في مجلس الشورى الإسلامي، وهو خطة إنشاء منظمة الإقامة الوطنية، وعزوا سبب رفضهم إلى أن هذه الخطة مرهقة ماليًا، كما أنها ضد قانون منح الجنسية لأطفال الأمهات الإيرانيات، إلا أنه فيما بعد تمت الموافقة على الخطة المطروحة سابقًا، ولكنهم أحالوا تفاصيل الخطة إلى لجنة الشؤون الداخلية لدراستها، لإضفاء الشرعية عليها[20] ، حيث أعلنت المديرية العامة لشؤون الأجانب والمهاجرين، وفقًا لخطة تنظيم الرعايا الأجانب[21]، بأنه يجب عليهم الخروج من ثماني بلديات في شيراز وحول ضريح مظهر شاه شراغ، وذلك بعد الهجوم الإرهابي عليه، حيث أن مرتكبي الهجوم من الرعايا الأجانب ، وصرَّح وزير الداخلية الإيراني، بأن «وكالات تجسس العدو تعمل على هذه القضية بعد أن أصيبت بخيبة أمل في التسبب في الفوضى»[22] .

خلاصة:

في ظل استمرار تزايد عدد المهاجرين الأفغان الوافدين إلى إيران، وصعود التوترات الداخلية والصراعات، كان لابد على النظام الإيراني، وضع سياسات وقوانين لمواجهة ذلك، مثل تنظيم دخول اللاجئين وتوزيعهم جغرافيًا، وتحديد عددهم، ومعايير قبولهم للحفاظ على النسيج الديمغرافي، ووضع مخيمات لإقامتهم، وتشديد الرقابة في نقاط التفتيش على الأوراق الثبوتية على الحدود الإيرانية، وذلك لتجنب الصدامات المجتمعية الناجمة عن وجودهم، وأيضًا العمل على الاستفادة منهم في بعض القطاعات الاقتصادية خاصة تلك التي تتأثر بترحيلهم.

■ الحوزة والمسألة الفلسطينية.. شرعية الداخل وبراغماتية الخارج

تناول تقرير رصانة بشهر اكتوبر 2023م، ما قامت به الحوزة من حشد وإعلانها الاستعداد للقتال في فلسطين عبر إرسال فقهاء وطلاب العلوم الشرعية، بيد أنَّ العائق الوحيد كان انتظار «إذن المرشد»، لكن خرج المرشد، هذا الشهر، ليُعلن أن إيران لا تريد تدمير إسرائيل ولا رميها في البحر، وأن مصير اليهود في أيدي الفلسطينيين، مما عُدّ تراجعًا براجماتيًا في نهج النخب الدينية الحاكمة في إيران درءًا لاتهامات بتمويل حماس ومساندتها في غزة أو الوقوف وراء عملية طوفان الأقصى. في نفس الوقت اعتبر مراجعُ آخرون أنّ حماس «باسيجية» ترجع بأفكارها ونهجها إلى الفكر الباسيجي (قوات التعبئة)، ومن ثمّ تبرير مساندتها في حربها ضد إسرائيل في حين ذهب آخرون في الحرس الثوري إلى أن عملية حماس جاءت ثأرًا لمقتل سليماني قبل أن تنفي

(20) موقع راديو فردا، حمايت ۵۴۰ فعال مدنی و دانشگاهی ایران از «مهاجران و پناهندگان افغانستانی»، (14اكتوبر2023م)، تاريخ الاطلاع: 26 نوفمبر2023م، https://bit.ly/3FMKySm

(21) موقع همشهریONLINE، اجرای طرح جدید برای اتباع خارجی حق سکونت در این مناطق از ایران را ندارند،(26اكتوبر2023م)، تاريخ الاطلاع: 27 نوفمبر 2023م، https://bit.ly/3Mp7pH1

(22) موقع أفغانستان اينترنشنال، وزير داخله ايران: استخبارات دشمن، مسئول ستيز جامعه ايران با مهاجران أفغان است، (13اكتوبر2023م)، تاريخ الاطلاع: 25 ديسمبر 2023م، https://bit.ly/3FMxtbs

حماس ذلك. وهو ما سنُفصله فيما يلي من نقاط:

أولًا: الحوزة وفلسطين.. تعزيز الشرعية

استعملت الحوزة ورجال الدين الحرب على غزة، لتعزيز الشرعية على المستويين الداخلي والخارجي:

1- المستوى الداخلي: سعت الحوزة الدينية في إيران، منذ عملية طوفان الأقصى، ونشوب الحرب الإسرائيلية على غزة، إلى استعمال الحرب وتوظيفها في تعزيز شرعيتها الداخلية وإثبات صحّة مقولاتها التي طالما رددتها كثيرًا حول التهافت الأخلاقيّ للغرب، وارتكازه على فلسفة المادية، وانعكاس ذلك على آلة العنف والوحشية ضد الآخر عامةً، والفلسطينيين خاصة!. وهو ما كرَّره المرشد الإيراني في حديث له هذا الشهر قائلًا: «لم يفضح العمل الهمجي والوحشي الذي ارتكبه الكيان الصهيوني في جرائمه ضد شعب غزة هذا الكيان فحسب، وإنما فضح أوروبا وأمريكا أيضًا، وفضح كذلك الحضارة والثقافة الغربية»[23] . وانتقد خامنئيّ كذلك مقولة الغرب بإنّ إسرائيل تدافع عن نفسها: «هل قتل خمسة آلاف طفل بقنابل فسفورية دفاع عن النفس؟! هذه هي الثقافة الغربية التي فُضحت». لكن الأهم في كلام خامنئي هو تبرُؤه من مقولة إلقاء إسرائيل في البحر، فقد أكد أنّ الإيرانيين لا يرمون أحدًا في البحر، وجعل الحل والأمر كله في يد الشعب الفلسطيني وحكومته المنتخبة!.

لكن البعض اعتبر تصريحات خامنئي من باب البراجماتية السياسية/ التقية المذهبية، لأن كثيرًا من المسؤولين الرسميين الإيرانيين صرَّحوا بنية تدمير إسرائيل من قبل، فعلى سبيل المثال ثمة تصريحات سابقة لقائد الحرس الثوري حسين سلامي الذي كان قد أدلى بها في عام 2018م ردًا على المسؤولين الإسرائيليين: «تعلموا السباحة في البحر الأبيض المتوسط، لأنّه ليس هناك أي سبيل أمامكم سوى البحر»[24] .

2-المستوى الخارجي: إذا كانت النخب الدينية الحاكمة استعملت حرب غزة للتشكيك في النموذج الحضاري الغربي، فإنها في نفس الوقت استعملتها لتصفية حسابات داخلية، والتشكيك في نوايا المعارضة، فقد اتّهم مولوي عبد الحميد بأنه موالٍ لإسرائيل ويطالب بحقوق إسرائيلية، عندما طالب بحل الخلافات ووجوب الوصول إلى حل: «ينبغي أن تحل مشاكلهم، ويمنح الحق لكل شخص»[25]. وبالتالي اتهمته الصحف شبه الرسمية بأنه من الموالين للسلام الإبراهيمي، وأنه تابع لدول مُطبِّعة مع إسرائيل!. والجدير بالذكر أن مولوي عبد الحميد أقلق السلطة الإيرانية بنهجه المعارض منذ مقتل مهسا أميني، فإنّه اتخذ موقف الدفاع عن النساء والشباب وعموم المتظاهرين، مما سبب حرجًا للنظام، وتجاذبًا مستمرًا بينه وبين مسؤولي النظام حتى اليوم؛ وبالتالي انتهزت السلطة الفرصة لإحراجه وتسقيطه أمام أتباعه باعتباره يريد التطبيع مع إسرائيل.

ثانيًا: حماس والفكر الباسيجي

خرجت تصريحات إيرانية عديدة خاصةً بعملية طوفان الأقصى، لكنّ جميعها تجعل العملية جزءًا من الإستراتيجية الإيرانية في المواجهة مع الغرب وإسرائيل.

---

(23) اسنا، رهبر انقلاب: طوفان الاقصى ادامه پيدا كند جدول سياستهاى آمريكا در منطقه محو خواهد شد، (29 نوفمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 20 ديسمبر 2023م، https://bit.ly/3vq0l7n

(24) ارنا، آيا رهبر معظم انقلاب خواستار به دريا ريختن يهوديان شده بود؟، (30 نوفمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 29 ديسمبر 2023م، https://bit.ly/48fj58q

(25) خبر أون لاين، مولوى عبدالحميد براى اسرائيل حق قائل است /اين سخن درباره يک رژيم غاصب بسيار عجيب است / او طرفدار طرفدار پيمان ابراهيم است!، (04 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 30 ديسمبر 2023م، https://bit.ly/3NMAjln

1-كبح التآمر الغربي: حيث اعتبر بعض رجال الدين، عملية طوفان الأقصى، إبعادًا للمخططات الأمريكية والغربية الهادفة إلى هندسة منطقة غرب آسيا، فيقول إمام جمعة أصفهان، مبررًا عملية طوفان الأقصى باعتبارها جزءًا من الإستراتيجية الإيرانية: «لأن هذا الطوفان على الرغم من أنه كان ضد الكيان الصهيوني إلا أنه كان في سياق إبعاد الولايات المتحدة، لأنها كانت ترى أحلامًا فوضوية لمنطقة غرب آسيا لكن لم ولن يتم تحققها»[26].

2-ردًا على مقتل سليماني: واعتبر آخرون أنّ عملية طوفان الأقصى جاءت في إطار الردّ على مقتل قاسم سليماني، فقد أعلن المتحدث باسم الحرس الثوري الإيراني رمضان شريف أن عملية طوفان الأقصى كانت إحدى عمليات الثأر لاغتيال سليماني. لكن حماس سارعت بإصدار بيان نفيٍّ مؤكدةً أن عملية طوفان الأقصى جاءت ردًّا على: «الاحتلال والظلم المتواصل على الشعب الفلسطيني..، والأخطار التي تواجه المسجد الأقصى»[27]. ويبدو أنّ المسؤولين الإيرانيين استشعروا الحرج الذي وُضعت فيه حماس بسبب تصريحات المتحدث الرسمي للحرس الثوري، فخرج قائد الحرس الثوري حسين سلامي بنفسه، ليقول إن عملية طوفان الأقصى فلسطينية بالكامل وليست ثأرًا لمقتل سليماني.

3-النهج الباسيجي: واعتبر آخرون أنّ حماس هي ابنة الفكر الباسيجي، فحسب آية الله علم الهدى فإنّ: «حماس اليوم وباعتبارها جزءًا من جبهة المقاومة وتحمل فكرًا باسيجيًا، أوقعت إسرائيل بهذه الحالة التي ترونها»[28]. وليس ذلك ببعيد عن إشارة خامنئي في خطابه أمام حشد من قوات الباسيج إلى أنّ الشيعة هم الذين يدعمون فلسطين بالمساعدات، الشيعة العرب في العراق ولبنان واليمن، والشيعة غير العرب في إيران، وأنهم -أي الشيعة- استطاعوا وضع ثنائية في المنطقة، وهي ثنائية المقاومة والاستسلام في وجه الغطرسة الأمريكية!. وهذا الدعم يُخلّق كيانات باسيجية تخدم الأهداف الإستراتيجية والأيديولوجية لإيران.

خلاصة:

عملت نخب الحكم الإيرانية على استعمال الخطاب الديني لتوظيف الحرب على غزة للنيل من الغرب وثقافته وفلسفته المادية، وإثبات صوابية المقولات الإيرانية تجاه الغرب طيلة الأعوام الماضية، وفي نفس الوقت وظفتها لتشويه المعارضة الداخلية والخصوم السياسيين. لكنّ اللافت هو ما طرحه المرشد من أنّ الشيعة العرب والشيعة غير العرب هم الداعم الأول للفلسطينيين. في ذات السياق أعلن الحرس الثوري أن عملية طوفان الأقصى كانت ردّ فعل على مقتل سليماني، إلا أن حماس سارعت بالنفي، مما جعل الحرس الثوري يتراجع عن تصريحاته لرفع الحرج عن حماس في محيطها السنّي، لكن رجال الدين في نفس الوقت جعلوا حماس ابنة الفكر الباسيجي، مما يجعل تراجع الحرس الثوري تراجعًا تكتيكيًا لمجرد رفع الحرج الذي وضعَ فيه حماس.

---

(26) ديدبان إيران، امام جمعه اصفهان: عمليات آمريكا زدايى ادامه خواهد داشت، (01 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 29 ديسمبر 2023م،https://bit.ly/3vpQfn1

(27) الجزيرة نت، قائد الحرس الثوري الإيراني: عملية طوفان الأقصى فلسطينية بالكامل، (28 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 30 ديسمبر 2023م، https://bit.ly/3GZzX7d وانظر: الشرق الأوسط: «الحرس الثوري» يعدُّ «طوفان الأقصى» جزءًا من الانتقام لسليماني... و«حماس» تنفي، (27 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 30 ديسمبر 2023م، https://bit.ly/3vf8bAR

(۲۸) خبر اون لاين، علم‌الهدى: بسيج به زودى كره زمين را فرا مى‌گيرد/ ايران فرهنگ بسيجى را به دنيا صادر كرد، (24 نوفمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع 27 ديسمبر 2023م، https://bit.ly/3H2kxip

التفاعلات الإيرانية العربية

التفاعلات الإيرانية مع بعض دول العالم العربي مثل دول الخليج العربي والعراق وسوريا، شهدت تطورات مهمة، خصوصًا بعد التأكيدات الروسية ضرورة إحالة قضية الجُزُر الإماراتية الثلاث إلى محكمة العدل الدولية لحلها وفقًا للشرعية الدولية، واستمرار المليشيات الموالية لإيران في استهدافها الأهداف الأمريكية بالعراق، فضلًا عن مقتل قيادي بالحرس الثوري في سوريا وعودة التوتر على الحدود السورية-الأردنية، وهو ما سوف يجري تناوله على النحو التالي:

- الإدراك الإيراني للعلاقات الخليجية والقوى الكبرى
- عودة التوتر من جديد بفعل الهجمات الميليشياوية للأهداف الأمريكية بالعراق
- ارتدادات استمرار حرب غزة على المشهد السوري

■ الإدراك الإيراني للعلاقات الخليجية والقوى الكبرى

تتباين زوايا مقاربة العلاقات الخليجية-الإيرانية مع القوى الكبرى باختلاف الطرف الثالث فيها، حيث يصعب التوفيق بين القضايا الثنائية والجماعية في الوقت نفسه. تَظهرُ هذه التعقيدات في العديد من المسائل بشكل مستمر، وكان أبرزها خلال شهر ديسمبر محطتان دبلوماسيتان مهمتان، هما الاجتماع الثلاثي الأول في بكين لمتابعة الاتفاق السعودي-الإيراني، والحدث الثاني الاجتماع السادس لمنتدى التعاون العربي-الروسي في مدينة مراكش المغربية، والذي تطرَّق إلى مسألة الاحتلال الإيراني للجُزر الإماراتية الثلاث، مما أثارَ ردودَ فعلٍ متباينة في إيران حول علاقة الأخيرة بروسيا والصين.

أولًا: المقترح الصيني في الاجتماع الثلاثي الأول لتعزيز المصالحة السعودية–الإيرانية

احتضنت العاصمة الصينية بكين في منتصف شهر ديسمبر 2023م، الاجتماعَ الأول للجنة الثُلاثية المشتركة بين إيران والسعودية والصين، برئاسة نائب وزير الخارجية الصيني وانغ يي، ونائب وزير الخارجية السعودي وليد بن عبد الكريم الخريجي، ونائب وزير الخارجية الإيراني للشؤون السياسية علي باقري كني، أعربَ الجانب الصيني عن استعداده لمواصلة دوره البنّاء ودعم اتخاذ طهران والرياض المزيدَ من الخطوات لتعزيز العلاقات، حيث قدَّم وانغ (وهو أيضًا مدير مكتب لجنة الشؤون الخارجية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني) ثلاثةَ مقترحات من أجل تحسين العلاقات بين طهران والرياض تتمثَّل فيما يلي[1] :

1-التمسك بالخيار الإستراتيجي للمصالحة بين البلدين وعدم تعريضه للاهتزازات.

2-الارتقاء أكثر فأكثر بمسار تحسين العلاقات بتوسيع حجم التبادلات في مجالات الاقتصاد والتجارة والأمن والتبادلات الشعبية والثقافية.

3-إنهاء التدخلات الخارجية حتى لا تبقى منطقة الشرق الأوسط ساحةً للصراعات الجيوسياسية بين القوى العظمى.

(1) موقع صحيفة الشعب اليومية أونلاين، (18 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 15 يناير 2024م، http://arabic.people.com.cn/n3/2023/1218/c31660-20111599.html

انعقاد الاجتماع في الصين وتحت رعايتها يعكسُ درجةَ الاهتمام الصيني بتجسيد مختلف بنود الاتفاق، وذلك لاعتبارات عديدة أبرزها: مصالحها الاقتصادية مع طرفي الاتفاق بشكل خاص والمنطقة العربية والإسلامية عمومًا؛ نظرًا لأهمية موقعها الجيوسياسي بالنسبة لمشروع الحزام والطريق الصيني، كما أن نجاح الاتفاق هو تأكيد على قدرة الدبلوماسية الصينية على القيام بأدوار كبيرة في إدارة الأزمات الدولية باعتبارها وسيطا يمكن الوثوق به. ومن ناحية ثانية، فإن المقترحات الصينية تهدف في مجملها إلى الحد من نفوذ القوى الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا بحد ذاته مكسبٌ كبيرٌ جدًا للصين، بغض النظر عن الطرف الذي يملأ الفراغ الأمريكي.

ثانيًا: الغضب الإيراني من الانحياز الروسي للإمارات في قضية الجزر الثلاث

تضمَّن البيان الختامي للاجتماع السادس لمنتدى التعاون العربي-الروسي الذي عُقد في يوم 20 ديسمبر 2023م، في مدينة مراكش المغربية تأييدًا للإمارات العربية المتحدة في موضوع الجزر الثلاث المحتلة. توالت بعدها تصريحات المسؤولين الإيرانيين المنتقدة بلهجة شديدة لروسيا، كما عجَّت الصحف والمواقع الإخبارية بمقالات الرأي التي تُدين الموقفَ الروسي ومن ورائه الصيني في تأييدهما للجانب العربي في قضية الجزر المتنازع عليها، وطالبت الحكومة بالتعامل وفق مبدأ المعاملة بالمثل.

المفارقة في هذا الملف، أن إيران دعمت بشكل كبير روسيا في الحربِ على أوكرانيا، وتحمَّلت بسبب ذلك هجمةً غربيةً جديدةً عليها وتعطيل مفاوضات الملف النووي، وهي تنتظر في المقابل –وفق النُّخب الإيرانية- أن تدعم موسكو كلَّ مواقف طهران في المسائل الخلافية في إطار تحالفهما الإستراتيجي. ولكن روسيا بموافقتها على البيان الختامي لمنتدى التعاون العربي-الروسي، أكَّدت موقفها قبل 6 أشهر في البيان المشترك الخليجي-الروسي الذي أثارَ حنقَ الإيرانيين، كما ذكَّرهم بالموقف الصيني من القضية نفسها خلالِ القمة الخليجية-الصينية قبل سنة، مما جعل الإيرانيين يستغربون الجفاءَ الصيني الروسي، ويحاولون تفسيره.

يعتقدُ الإيرانيون أن سببَ ضعف الموقف الإيراني إزاءَ روسيا يكمُن في محدودية علاقتها مع القوى الكبرى، وحاجة طهران لموسكو أكثر، على عكس الدول العربية التي تتميزُ علاقاتها بالتنوع ما يُتيح لها المجال للمساومة بشكل أفضل وفقَ ما يخدم مصالحها[2] . والأمر نفسه ينطبق على علاقتها بالصين حيث يُدرك الطرفان أن خيارات إيران محدودة جدًا في ظل علاقتها المتوترة مع الغرب، لذلك لا يلتفتون كثيرًا للاحتجاجات الإيرانية من هذه المسائل.

خلاصة:

تُظهر ردودُ فعل الإيرانيين المتشنّجة من الموقف الروسي والصيني حيالَ قضية الجزر الإماراتية المحتلة نظرتهم الجدية لعلاقتهم الدولية التي يريدون أن تكون مواقفها متطابقة تمامًا مع من يعتبرونهم حلفاءهم، وهو تصورٌ لا يوجد أبدًا في السياسات بين الدول، حيث تبرُز بعض التباينات بناءً على مصالح وحسابات كل دولة. وانطلاقًا من النتائج الإيجابية الناجمة من الاتفاق السعودي-الإيراني برعاية الصين على الأطراف الثلاثة، فإنه يتوجَّب على إيران تعميم هذه المقاربة حول القضايا الخلافية مع جيرانها بما في ذلك الجزر الثلاث، خاصة وأن الطرف الإماراتي يركز على القانون الدولي والطُرق السلمية، أما السلوك الإيراني العدائي فلم تحصُد منه إلا الفشل حتى مع حلفائها.

---

(2) موقع انتخاب، محب علي: من خلال إصدار هذه البيانات حول الجزر الثلاث، يبحث الروس عن التعامل مع العرب، (21 ديسمبر2023م)، تاريخ الاطلاع: 02 يناير 2024م، http://tinyurl.com/mr2h4ukz

■ عودة التوتر من جديد بفعل الهجمات الميليشياوية للأهداف الأمريكية بالعراق

بعد مرحلة هدوء نسبي دامت لأشهر خلال 2023م، أعقبت الاتفاق السعودي-الإيراني لاستئناف العلاقات، عادَ التوتر من جديد للساحة العراقية خاصةً بعد انفجار الحرب في قطاع غزة، وذلك بفعل هجمات الميليشيات المسلحة الموالية لإيران ضد الأهداف الأمريكية بذريعة ردع الولايات المتحدة على تقديمها الدعمَ العسكري لإسرائيل في حربها الشاملة في قطاع غزة، وبفعل الرد العسكري الأمريكي ضد تمركزات الميليشيات، في تجاوز للسيادة العراقية؛ وفيما يلي أهم التطورات التي شهدتها الساحة العراقية خلال نوفمبر وديسمبر 2023م.

أولًا: زيارة باقري للعراق والتصعيد الميليشياوي ضد الأهداف الأمريكية

أجرى رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية اللواء محمد باقري زيارةً للعراق من 3-5 ديسمبر 2023م، التقى خلالها وزيرَ الدفاع ثابت محمد العباسي، ووزيرَ الداخلية عبد الأمير الشمري، ورئيسَ هيئة الأركان في الجيش العراقي عبد الأمير يار الله، مؤكدًا أن «الهدف من الزيارة هو استعراض مجالات تطوير العلاقات العسكرية بين البلدين الجارين»[3].

تكتسب الزيارة أهميتها من كونها تأتي في توقيت عادَ خلاله الشرق الأوسط إلى صدارة بؤر التوتر الدولية، وسطَ تحذيرات من مغبَّة اتساع الحرب الدائرة في غزة إلى حرب إقليمية بدخول أذرع إيران المسلحة في ساحات النفوذ على خطوط المواجهات، ولذلك تكمُن الأهداف الحقيقية للزيارة في تأكيد النفوذ الإيراني في العراق في توقيت تتعرَّض فيه الأهداف الأمريكية في العراق (مقار دبلوماسية، تمركزات وآليات عسكرية)، لمزيدٍ من الهجمات من قِبل تلك الميليشيات، وفي توقيتٍ أيضًا تتصاعد فيه حدة التوتر مع واشنطن وتل أبيب بسبب الدعمِ الأمريكي للحرب الإسرائيلية في غزة، ما يعكس رغبةً إيرانية في بثّ رسائل للولايات المتحدة وإسرائيل على أنها تمتلك نفوذًا إقليميًا قويًا مكَّنها من التصعيد ضدهما، وأن توسيع نطاق التصعيد خيارٌ قائم حال مضيهما في كسر شوكة ما أسمته إيران بـ «محور المقاومة»، إضافةً إلى هدف التنسيق مع قادة الميليشيات في الساحة العراقية ضمن إستراتيجية إبراز وحدة الساحات.

ثانيًا: الضربات الأمريكية للتمركزات الميليشياوية في الساحة العراقية

ردًا على سلسلة الهجمات المتتالية للميليشيات الموالية لإيران ضد الأهداف الأمريكية وآخرها استهداف حزب الله العراقي قاعدةَ أربيل الجوية التي تحوي قوات أمريكية ما أسفرَ عن إصابة 3 جنود أمريكيين أحدهم في حالة حرجة، قصفَ الجيش الأمريكي في السادس والعشرين من ديسمبر 2023م، ثلاثة تمركزات ومواقع للميليشيات الموالية لإيران بالعراق ما أدى إلى مقتل عنصر تابع للميليشيات وإصابة العديد، في ضربة هي الثانية من نوعها منذ بدء الحرب في غزة، بعد الضربة الأولى للميليشيات بالعراق في 23 نوفمبر 2023م، وأسفرت عن قتلى وجرحى في صفوفهم، وقد أحصت واشنطن منذ بدء الحرب في غزة حتى

(3) وكالة أنباء فارس، سرلشكر باقرى در بدو ورود به عراق: هدف از اين سفر بررسى زمينه‌هاى توسعه روابط نظامى دوجانبه است، (11 آذر 1402ه.ش)، تاريخ الاطلاع: 02 ديسمبر 2024م، https://tinyurl.com/2s3ze2v7

26 ديسمبر 2023م نحو 103 هجمات ضد قواتها في العراق وسوريا[4] .

يحمل الرد الأمريكي في العراق رسائل ردع قوية لإيران ولميليشياتها، وإمكانية تحويلً وجهة الرد الأمريكية من الساحة السورية إلى العراقية، بعدما كانت السورية الأساسَ في توجيه الضربات والرسائل الأمريكية لإيران. وينتشر في العراق نحو 2500 جندي أمريكي ضمن الجهود الأمريكية في العراق للحيلولة دون عودة تنظيم داعش الإرهابي من جديد. وتُدرك واشنطن كما يُدرك الكثيرون أن أهداف التصعيد الإيراني الرئيسية بواسطة الميليشيات ضد أهدافها بالعراق، لا تتمحور حول الضغط على واشنطن وتل أبيب لإيقاف الحرب في غزة، وإنما تتمحور حول الضغط لإخراج القوات الأمريكية من الساحة العراقية، عبر التأثير على الرأي العام الأمريكي للضغط على إدارة بايدن ومطالبته بسحب الجنود الأمريكيين من العراق خشيةَ استهدافهم، وكان ذلك الهدف واضحًا على لسان أحد المقربين من إيران زعيم منظمة «بدر» هادي العامري عندما دعا إلى إخراج قوات التحالف الدولي والقوات الأمريكية فورًا من العراق وتحقيق السيادة الوطنية الكاملة[5] .

كذلك تهدف إيران أيضًا إلى تعزيز شروطها التفاوضية من خلال الضغط على واشنطن بقوة نفوذها الإقليمي لتقديم تنازلات في المفاوضات النووية، ودفع واشنطن نحو رفع الحجز عن الأموال الإيرانية لكونها ضرورية في ظل أزمتها الاقتصادية بفعل العقوبات الأمريكية، وحث إدارة بايدن على الضغط على تل أبيب لكي تكُفَّ عن استهداف ميليشياتها في الساحة السورية، إضافةً إلى تأكيد طهران قيادتها لما أسمته بـ «محور المقاومة» واعتقادها بأن ذلك سيُحسن صورتها لدى شعوب المنطقة بوقوفها المزعوم مع المقاومة الفلسطينية.

ثالثًا: موقف الحكومة العراقية من الهجمات ضد الأهداف الأمريكية

أعلنت الحكومة العراقية برئاسة محمد شياع السوداني مرارًا وتكرارًا رفضها القاطع للهجمات ضد الأهداف الأمريكية، وأصدرت تعليمات للجهاز الأمني بضرورة ملاحقة المسلحين المتورطين في الهجمات وتقديمهم للعدالة، ودعت لرفع حالة التأهب العسكري لأقصى مستوى تأهبٍ أمني لحماية البلاد، وصنَّفت الهجمات ضدَ المقار الدبلوماسية الأجنبية ضمن الجرائم الإرهابية؛ ولذلك أشارت العديد من وسائل الإعلام إلى محاولة حكومة السوداني أثناء استقبالها باقري إيصالَ رسالة لطهران مفادها الضغط على الميليشيات لوقف هجماتها ضد الأهداف الأمريكية[6] ، لا سيما أن زيارته ترافقت مع إعلان الميليشيات استئناف هجماتها ضد الأهداف الأمريكية في خطوة زادت من إحراج حكومة السوداني المرتبطة بمصالح حيوية مع واشنطن في مقدمتها المصالح الأمنية والاقتصادية، وإعفاءات واشنطن لها من العقوبات لشراء الكهرباء من إيران.

في الوقت ذاته أدانت الحكومة العراقية الهجمات الأمريكية بالعراق، واعتبرتها «فعلًا

(4) الحرة، بيان من مجلس الأمن القومي الأمريكي بشأن الضربات الجوية في العراق، (26 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 01 يناير 2024م، https://2h.ae/yJvn

(5) الجريدة، العامري يدعو لخروج الأمريكيين فورًا، (12 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 01 يناير 2024م، https://2h.ae/ahPN

(6) العرب، رئيس الأركان الإيراني في بغداد للمساومة بملف الميليشيات المستهدفة للقوات الأمريكية، (04 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 01 يناير 2024م، https://2h.ae/jfbm

عدائيًا واضحًا، وغير بنّاء، ولا يصب في مسار المصالح المشتركة طويلة الأمد، في بسط الأمن والاستقرار، ويعمل ضد ما هو معلن من رغبة الجانب الأمريكي في تعزيز العلاقات مع العراق»[7] .

لكن على ما يبدو أن الجهود العراقية لم توقف الميليشيات عن المضي في تنفيذ هجماتها المسلحة، ولم تتمكن حكومة بغداد من ضبط الأوضاع الأمنية في الداخل العراقي، وظهر من جديد تحدي السلاح المنفلت للدولة وقراراتها الأمنية في الداخل والخارج، وبث رسائل بفقدان الدولة لأدوات التأثير والضغط والسيطرة على القرار الأمني، حيث تجاوزتها الجماعات المسلحة منذ بداية الحرب في غزة بتحذيرها من أنها ستصبح طرفًا في الصراع ضد الأهداف الأمريكية بالعراق حال قدَّمت واشنطن الدعم العسكري لإسرائيل في الحرب، مرورًا بتنفيذ تهديداتها وانتهاءً بعدم احترام قرارات الدولة الأمنية بالتمادي في هجماتها ضد الأهداف الأمريكية.

خلاصة:

من الواضح أن الذريعة التي تروّج لها الميليشيات بأن هجماتها ضد الأهداف الأمريكية بالعراق، تهدف للضغط على واشنطن لتضغط هي الأخرى على تل أبيب وترغمها على وقف حربها في غزة، لم تعُد تنطلي على أحد، فطريق غزة والقدس معلوم لفيلق القدس الإيراني، وإنما الهدف هو استغلال التوقيت للضغط في اتجاه إخراج القوات الأمريكية وحرمانها من الانفراد بالساحة العراقية، وفي الوقت ذاته بثّ الرسائل بالاستعداد للمسارات المتوقعة التي قد تتجهُ إليها مُجريات الحرب في غزة، لكن من شأن ذلك التأثير على رغبة الشُركاء الإقليميين للعراق للدخول في علاقات اقتصادية واستثمارية وتجارية واسعة كما يطمح العراق، خاصةً في ظل استمرارية قفز الميليشيات المسلَّحة على القرار العراقي.

■ ارتدادات استمرار حرب غزة على المشهد السوري

حمل الملف السوري مع الأمتار الأخيرة من العام 2023م، تطورات مهمة على صعيد الدور الإيراني ومجالات نفوذه في هذا الملف، ومن أهم هذه التطورات عودة القلق الأردني من التجاوزات التي تحدُث على حدوده مع سوريا، وارتباط الميليشيات الإيرانية بهذا التصعيد، والذي تجاوز مجرد أزمة تهريب إلى محاولات إشعال مواجهة حدودية مباشرة. التطور الآخر، هو الضربات الإسرائيلية ذات المسار التصاعدي والتي حملت طابعًا مُختلفًا من زاويةِ نوعيةِ الهدف ودلالات هذا الاستهداف. ويأتي كِلا التطوران في ظل بيئة إقليمية متوترة على ضوء استمرار الحرب القائمة في غزة والرسائل السياسية والنارية المتبادلة بين الأطراف، وبالأخص الرسائل الأمريكية والإسرائيلية من جهة وإيران من جهة أخرى عبر أذرعها وميليشياتها في عدد من الدول في المنطقة.

أولًا: عودة تصاعد التوترات على الحدود السورية-الأردنية

عادت الأزمة التي تواجهها الأردن على طول حدودها الشمالية مع سوريا إلى الاندلاع مُجددًا، وباتت تأخذ منحىً تصاعديًا عن السابق، تجاوزت فيه هذه الأزمة النمط الذي كانت عليه سابقًا والمرتبط بعمليات تهريب المخدرات وحبوب «الكبتاغون» لتصل إلى حد عمليات عبور وتهريب للأسلحة والذخائر

(7) منصة إكس، المكتب الإعلامي لرئيس الوزراء العراقي: تدين الحكومة العراقية استهداف مواقع عسكرية عراقية من قبل الجانب الأمريكي، (26 ديسمبر 2023م)، تاريخ الاطلاع: 01 يناير 2024م، https://2h.ae/Augg

والمتفجرات[8] . تأتي هذه التطورات بالتزامن مع الأوضاع الإقليمية المضطربة والتوترات الأمنية والسياسية المصاحبة لأحداث غزة الأخيرة على العديد من دول المنطقة ومنها الأردن، ومن بين ذلك احتشاد آلاف الحشود العراقية باتجاه حدود الأردن تحت دعوات مُناصرة غزة، بجانب قيام جهات على صلة أمنية بالإيرانيين وبحركة «حماس» بتحريك الشارع الأردني تحت عنوان التضامن مع غزة. تُشكل العناصر السابقة مؤشرًا على أن ما يجري على حدودها الشمالية هو استنزاف لقواتها ومواردها العسكرية بعمليات متتالية استنزافية لحدودها مع سوريا، ومحاولة جديدة للتلاعب باستقرار الأردن، لجهة استغلال هذه الحشود لأحداث غزة للتغلغل في الأراضي الأردنية لأهداف عديدة من بينها إثارة القلاقل والفتن، مستغلين بذلك الضغوط الداخلية التي تتعرَّض لها الحكومة الأردنية.

ثانيًا: مقتل رضا موسوي ورسائل الاستهداف الإسرائيلية لإيران في سوريا

أعلن الحرس الثوري الإيراني في 25 ديسمبر 2023م مقتلَ القيادي البارز في فيلق القدس، رضا موسوي[9] واسمه الحركي «سيد رضى»، بضربة إسرائيلية في سوريا طالت منطقةَ السيدة زينب قرب دمشق. ويعتبر الموسوي مسؤولًا كبيرًا في المنظومة العسكرية الإيرانية، وشغل منصب رئيس المؤسسة اللوجستية الإيرانية (الوحدة 2250) التابعة لـ«فيلق القدس» الإيراني، وكان مسؤولًا بارزًا بالتموضع الإيراني في سوريا وتسهيل عمليات نقل الأسلحة والمعدات الإيرانية إلى لبنان عن طريق سوريا.

حمل الاستهداف الإسرائيلي رسائل مُتعددة الأبعاد والاتجاهات، ومن ضمنها أنها جاءت في إطار الاستنزاف وتصفية المسؤولين عن القرارات المتعلقة بتهريب السلاح لاستهداف أمن إسرائيل مستقبلًا كما حدث في عملية أكتوبر 2023م في غزة. والرسالة بدت أكثر وضوحًا مع العمليات التي أعقبت استهداف موسوي بشن تل أبيب ضربات كبيرة أخرى، ما بين 28 و29 من ديسمبر 2023م، أصابت عددًا من الضباط الإيرانيين وعددًا من المواقع التي يُديرها الحرس الثوري الإيراني في مدينة البوكمال شرق سوريا.

بدورها سعت طهران منذ 07 أكتوبر 2023م بشتى الطُرق والوسائل في استغلال جبهة حرب غزة لتعظيم الضغوط على كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وتعزيز مواقعها في المنطقة العربية، بدءًا بالعراق وصولًا إلى اليمن، مرورًا بسوريا ولبنان، بُغية خلط الأوراق وإعادة رسم قواعد اللعبة في المنطقة وفق مصالحها الإستراتيجية، بما في ذلك وقف عملية تطبيع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل، فضلًا عن الضغط على الولايات المتحدة لسحب قواتها المتمركزة في سوريا والعراق، وتعزيز النفوذ الإيراني وتقييد حرية الحركة في المياه الدولية والإقليمية عبر الحوثيين في اليمن.

لذا في ظل الإستراتيجية الإيرانية المُتبعة منذ انطلاق الحرب، وفي ظل الرد الإسرائيلي المُقابل في اغتيال هدف نوعي في المنظومة العسكرية الإيرانية سوف يؤثر بلا شك على التنسيق بين مختلف الميليشيات التابعة لإيران،

(8) اندیشکده فارسی، نقش گروه‌های مسلح وابسته به رژیم ایران در قاچاق مواد مخدر از سوریه به اردن، (28 آذر 1402ه.ش)، تاریخ الاطلاع: 03 يناير 2024م، https://bit.ly/48mZH9z

(9) خبر گزاری مهر، شهادت سردار سید رضی موسوی از مستشاران نظامی قدیمی سپاه در سوریه، (04 دی 1402ه.ش)، تاریخ الاطلاع: 03 يناير 2024م، https://bit.ly/3S4q2U2

في سـوريا على وجه التحديد، كما أنه سيمس بنجاعة إدارة الساحتين السورية واللبنانية، ولو مؤقتًـا، فيما يخص عمليات نقل الإمدادات من إيران لسوريا ولبنان.

وفـي ضـوء ذلـك، تتبايـن التوقعات حـول رد الفعـل الإيرانـي المتوقع على اغتيال موسـوي والتساؤلات، أيضًا حول كيفية منع طهران تكرارَ مثل هذه العمليات مستقبلًا، وخصوصًا في ظل الإستراتيجية الإسرائيلية في إضعاف منظومة الـردع الإيرانيـة بالضربـات المتتالية لوكلائها وميليشـياتها في المنطقة وتصفية المسؤولين المعنيين بالعلاقة مع إيران سواءً من حماس أو حزب الله أو غيرهما في سوريا والعراق. نظريًا، لـم يكـن رد الفعل الإيرانـي مفاجئًـا بالتهديد والوعيد من قِبل قيادات الحكومة الإيرانية، أما عمليًـا فمن المتوقـع أن تتبنـى ردًا مقابل هذا الاسـتهداف، وهـو ردٌ من المحتمـل ألا يرتبط على الأرجح بعملية عسكرية تقليدية، وإنما عبر

أذرعها العسكرية في سوريا أو العراق أو في لبنان أو اليمن، من دون المجازفة والانتقال إلى مربع الصراع الواسع والمباشر.

خلاصة:

يبدو أن العام 2024م لن يختلف كثيرًا عن سابقه؛ في استمرار التجاذب وصراع المصالح الإيراني-الإسرائيلي على الأراضي السورية. فلا زالت تهديدات المحور الإيراني للأردن، والتحرشات الحدودية التي يقوم بها هذا المحور وعمليات تهريب المخدرات المنظمة التي يقف وراءها، والاشتباكات الدامية التي تحدُث على حدوده مع سوريا بين فترة وأخرى مع تنظيمات هذا المحور ومهربيه. فيما تمثل عمليات التصعيد المتتالية التي تمارسها حكومة تل أبيب على الأراضي السورية وحدثُ مقتل أهم قيادات إيران في سوريا، أن المرحلة القادمة سوف تشهد مزيدًا من اشتداد المواجهة الإيرانية-الإسرائيلية ومحاولات لتسديد ضربات أمنية متبادلة، سواءً عبر محاولة طهران استمرارَ التصعيد بين ميليشياتها بسوريا ولبنان والعراق خلال المرحلة القادمة، أو عبر محاولة تل أبيب استهداف مزيدٍ من القيادات الرئيسية للميليشيات الإيرانية في سوريا أو خارجها، أو من خلال محاولة الفصائل الفلسطينية توجيهَ ضربات نوعية داخلَ إسرائيل نفسها أو في الضفة الغربية، بالتوازي مع استمرار التصعيد بين تل أبيب والميليشيات الموالية لإيران عبر سوريا ولبنان والعراق خلال المرحلة القادمة؛ وذلك من أجل رفع كُلفة العمليات التي يشنُّها كلّ طرف تجاه الآخر دون مجازفة في الوقت نفسه بالانخراط مباشرةً في صراعٍ أكبر.

أخبار رصانة

رصانة يصدر الطبعة الثانية من كتاب «الصراع الإيراني-السعودي فيما بعد 2011م»

اقرأ المزيد

علاقات إيران بالقوى الإقليمية والدولية

شهدت العلاقات الأمريكية الإيرانية تصاعدًا ملحوظًا في التوتر بعد اندلاع الحرب في غزة، لا سيما بعدما أعادت واشنطن من جديد وضع منطقة الشرق الأوسط ضمن أولوياتها، وما صاحب ذلك من إجرائها تغييرات إستراتيجية في ما يتعلق بانتشار قواتها في المنطقة. هذا الوضع أثار قلق إيران التي تنظر إلى هذه العودة الأمريكية على أنها تهديد لمكتسباتها وإمكانية الحد من نفوذها مستقبلًا.
في هذه الفقرة سنناقش الملف التالي:

- اتجاهات العلاقات الأمريكية-الإيرانية بعد حرب إسرائيل على غزة

■ اتجاهات العلاقات الأمريكية-الإيرانية بعد حرب إسرائيل على غزة

ما تزال الحرب الإسرائيلية على غزة تُلقي بظلالها على التفاعلات الإقليمية، بما في ذلك العلاقات بين الولايات المتحدة وإيران، حيث أعادت هذه الحرب وضعَ واشنطن منطقةَ الشرق الأوسط ضمن الأولويات الأمريكية من جديد، وصاحبَ ذلك إحداث تغييرات إستراتيجية فيما يتعلَّق بانتشار القوات الأمريكية في المنطقة، وبينما كانت تعمل إيران على الاستفادة من تراجع الاهتمام الأمريكي بالمنطقة فإنها حرَّكت جميع أوراقها بهدف تفادي تعريض مُكتسباتها للتهديد بعد التغييرات الإستراتيجية التي صاحبت حرب غزة، إذ تعتبرُ إيران أن عودةَ القوات الأمريكية إلى المنطقة وإطالةَ الحرب في غزة ربما هو مقدمة لتغيير بنية الشرق الأوسط بالكامل، ونزع سلاح قوى المقاومة فصيلًا بعد فصيل؛ وذلك لخلق بيئة آمنة لإسرائيل، واستعادة النفوذ الأمريكي في المنطقة والعمل على الحد من نفوذ إيران، وكذلك الصين.

أولًا: اتساع نطاق المواجهة غير المباشرة

في بداية الحرب طلبت الولايات المتحدة من إيران عدمَ توسيع نطاق الحرب، وعدمَ تهديد المصالح الأمريكية أو التدخل في الحرب من خلال وكلائها الإقليميين، لكن بمرور الوقت اتسع نطاق الحرب وفرضَ وكلاءُ إيران أنفسهم كطرف مؤثر على معادلة الصراع. وقد مثَّلت هجمات الحوثيين في هذا السياق المنحى الأكثر تصعيدًا بين الجانبين، وذلك على الرغم من أن إيران تحاول أن تنأى بنفسها عن الهجمات التي يشنها الحوثيون على السفن المتجهة إلى إسرائيل، إذ تعتقد الولايات المتحدة أن الحوثيين ينفذون أجندة إيران، وتُشير معلومات الاستخبارات الأمريكية إلى أن سفينة إيرانية متمركزة في البحر الأحمر قد مكَّنت «الحوثيين» من استهداف السفن

باستخدام الطائرات المسيرة والصواريخ بدقة ، بل إن «البنتاجون» اتَّهم إيران بالتورط المباشر في الهجوم بطائرة بدون طيار على ناقلة كيماويات بالقرب من الهند.

وقد ردَّت الولايات المتحدة على هذه التهديدات بإنشاء تحالف لحماية حرية الملاحة في البحر الأحمر، لكن تبدو الأمور بصدد مزيدٍ من التصعيد، إذ بعد ساعات من تأكيد وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن إنشاءَ قوة عمل بحرية لمواجهة هجمات «الحوثيين» على السفن التجارية بالبحر الأحمر، أعلن قائد القوة البحرية في الحرس الثوري الإيراني الأدميرال علي رضا تنغسيري عن تشكيل «قوة باسيج بحرية» ردًا على الإعلان الأمريكي. وفي تطور لافت وخطير هدَّد قائد الحرس الثوري الإيراني بإغلاق البحر المتوسط ومضيق جبل طارق أمام التجارة العالمية، وذلك في حال لم يتوقف الهجوم الإسرائيلي على غزة، وهذا التصريح يُشير إلى ورقة يمكن أن تضغطَ بها إيران على الولايات المتحدة والغرب لتغيير موقفهم من حرب غزة، أو استغلالها في حال اتَّسع نطاق المواجهة.

على صعيد متصل بالمواجهة الإقليمية، تُشير التطورات إلى أن حزب الله ما يزال يحافظ على سياسة التصعيد المحسوب، خشيةَ أن تنفذ الولايات المتحدة تهديداتها بضربه في حال وسَّع حربه ضد إسرائيل من جبهة الشمال، وفي العراق تشن الميليشيات هجمات على المواقع والقواعد الأمريكية بصفة مستمرة، وهو ما تقوم الولايات المتحدة بمواجهته باستهداف لمواقع هذه الميليشيات وتمركزاتها في سوريا والعراق، بجانب حثّ الحكومة العراقية على التحقيق واعتقال مُرتكبي الهجمات على السفارة الأمريكية في بغداد والمنشآت التي تستضيف موظفين أمريكيين، مع كل ذلك ورغم تزايد حدة التوتر، فإن إيران تحافظ على سياسة التصعيد المحسوب وغير المباشر دون تحمل تكلفة.

ثانيًا: توظيف إيراني لحرب غزة

على مستوى الحرب الدعائية، وجدت إيران في الدعم الأمريكي للحرب الإسرائيلية التي تشنها ضد شعب غزة، وما صاحبها من دمار وتجاوز لكافة القواعد والقوانين الدولية، فرصةً لإعادة التأكيد على عدم عدالة النظام الذي ترعاه الولايات المتحدة، وللتأكيد على موقفها المُعادي للهيمنة الأمريكية، وحمَّلت إيران واشنطن المسؤوليةَ عمّا يحدث للفلسطينيين ، ولم يتوقف الأمر عن الانتقاد بل نظَّمت إيران مؤتمر طهران الدولي حول فلسطين في 23 ديسمبر 2023م، وهو المؤتمر الذي جمعَ العديد من الدول المناهضة للولايات المتحدة، وتكتسب ادعاءات إيران بعض الزخم بالاستفادة من الرأي العام في المنطقة الغاضب من السياسة الأمريكية، وكذلك الرأي العام العالمي المتعاطف مع معاناة الفلسطينيين. كما لم يترك النظام الإيراني الفرصة لتوظيف هذه التطورات لترميم شرعيته المتآكلة في الداخل مستفيدًا وموظفًا لسلوك بعض ما يسميه «جبهة المقاومة» التي توجه ضرباتها للمصالح الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة، فضلًا عن استعادة قوته الناعمة على الصعيد الإقليمي، باعتبار أن قضية فلسطين أهم قضايا العالم الإسلامي، وترى أنه لا يزال

من الممكن زيادة شعبية إيران في المنطقة عن طريق دعم القضية الفلسطينية[1] .

ثالثًا: استغلال الأزمة وتعزيز القدرات العسكرية

استغلَّت إيران التوترات الراهنة والانشغال الأمريكي لتعزيز برامج التسليح، ويُشير إلى ذلك إطلاق إيران قمرًا صناعيًا اعترفت واشنطن أنه وصل إلى مداره بنجاح، وهي عملية إطلاق تُشبه عمليات إطلاق أخرى انتقدتها واشنطن سابقًا باعتبارها تُساعد برنامج الصواريخ البالستية لطهران. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أعلنت إيران عن اختبار العديد من الطائرات بدون طيار والأسلحة المختلفة، إضافةً إلى قيام الحرس الثوري الإيراني بمناوشات ومضايقات لحاملات الطائرات والقطع البحرية الأمريكية التي تمر عبر الخليج، وفي هذا الإطار يُشار إلى ما نشرته القيادة المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط، من صور لطائرة إيرانية بدون طيار مأخوذة من حاملة طائرات متمركزة في الخليج العربي. بالإضافة إلى ذلك وضعت إيران اللمسات الأخيرة على ترتيبات تسليم مقاتلات روسية الصنع من طراز سوخوي سو35- وطائرات هليكوبتر، في الوقت الذي تقيم فيه طهران وموسكو علاقات عسكرية أوثق.

رابعًا: مزيد من الغموض بشأن الملف النووي

في غياب الدبلوماسية تعقَّدت الأمور بشأن الملف النووي، وتراجعت إيران عن بعض التفاهمات الضمنية المؤقتة بشأن وقف تخصيب اليورانيوم بنسبة 60%، وذلك في غياب المفتشين الدوليين؛ وبالتالي زادَ مخزونها الشهري من اليورانيوم المخصب بمقدار ثلاثة أضعاف وبنسبة تصل إلى 60% إلى مستويات قريبة من درجة صُنع

(1) موقع صحيفة قدس، بازيابى اعتبار ازدسترفته با ايرانهراسى، تاريخ الاطلاع: 1 يناير 2024م، http://tinyurl.com/59s2wdze

الأسلحة، وفقًا لتقديرات الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة، وهو الأمر الذي استدعى إصدارَ بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بيانًا ندَّدوا فيه بخطوات إيران، ومع ذلك أكدوا التزامهم بالمسار الدبلوماسي لتسوية الخلافات، وهو الأمر نفسه الذي أكدت عليه إيران، ما يعني أن الجانبين مُتمسكان بتسوية سلمية للملف النووي[2] ، لكن من المستبعد العودة لطاولة المفاوضات قريبًا، وذلك للمعارضة الداخلية القوية لأي جهود دبلوماسية في ظل هذه الظروف، كما أن الحكومتين الأمريكية والإيرانية ستكونان أمام استحقاقات انتخابية خلال العام 2024م، وليس من مصلحة الطرفين الدخول في صفقة قد تضر بحظوظهما الانتخابية[3] .

خامسًا: متابعة أمريكية للعقوبات والضغوط

من جهة أخرى بعد تعليق مؤقت بشأن فرض مزيد من العقوبات تزامنًا مع صفقة تبادل الأسرى في أكتوبر 2023م، أعادت الولايات المتحدة فرضَ مزيد من العقوبات على إيران خلال شهري نوفمبر وديسمبر 2023م، ويوضح الجدول أدناه طبيعةَ هذه العقوبات.

---

(2) Apnews, UN agency report says Iran has further increased its uranium stockpile,(November 15, 2023), accessed: janeuary 1, 2024, https://2u.pw/P6acC1R

(3) روزنامه آرمان امروز، افق جنگ غزه و مذاکرات هسته‌ای، (10 آبان 1402 ه.ش)، تاریخ الاطلاع: 01 يناير 2024م، https://tinyurl.com/393j9fxn

جدول (1):
أبرز العقوبات والضغوط الأمريكية على إيران خلال شهري نوفمبر وديسمبر 2023م

التاريخ	الإجراء
17 نوفمبر	إدانة رجلين في الولايات المتحدة بمحاولة بيع النفط الإيراني
17 نوفمبر	إدراج كتائب سيد الشهداء وأمينها العام هاشم فنيان رحيم السراجي على قائمة الإرهابيين الدوليين المصنفين تصنيفًا خاصًا. وإدراج ستة أفراد مرتبطين بميليشيا كتائب حزب الله المتحالفة مع إيران، وقد قامت كتائب سيد الشهداء التي تعمل في بعض الأحيان مع جماعات أخرى مدرجة على قوائم الإرهاب الأمريكية، بما فيها كتائب حزب الله وحركة النجباء، بالتخطيط لهجمات ضد أفراد أمريكيين
29 نوفمبر	عقوبات على أكثر من عشرين فردًا وكيانًا لتورطهم في شبكة للتسهيلات المالية تعود بالنفع على وزارة الدفاع ولوجستيات القوات المسلحة الإيرانية وهيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية وفيلق القدس التابع للحرس الثوري الإسلامي
07 ديسمبر	إدراج الولايات المتحدة 13 فردًا وكيانًا على قوائم العقوبات لمسؤوليتهم عن توفير الأموال الناتجة عن بيع سلع إيرانية وشحنها إلى الحوثيين في اليمن
19 ديسمبر	عقوبات على شبكة تشمل 10 جهات و4 شخصيات حقيقية لديها صلة مباشرة بإنتاج وتوفير قطع الغيار للمسيرات الهجومية الإيرانية

المصدر: إعداد وحدة الدراسات الإقليمية والدولية بالمعهد الدولي للدراسات الإيرانية

خُلاصة:

يمكن القول إن الصراع الإقليمي الراهن هو تنافس بين رؤيتين متناقضتين على مستقبل إقليم الشرق الأوسط، وقد وضعت حرب غزة واشنطن وطهران على ضفتين متقابلتين في إطار هذا الصراع. وتُشير التطورات إلى أن إيران تتحرك في هذا الإطار لحماية مكتسباتها والحفاظ على مصالحها، لكنه تحرك عند حدود لا تتعرض فيه لمواجهة مباشرة عالية التكلفة، وخلال هذه المرحلة تختبر إيران فاعلية عقيدة الدفاع الأمامي التي تتبنّاها في مواجهة الولايات المتحدة، مع ذلك فإنه من غير المستبعد اتساع نطاق الحرب في غزة، لا سيما أن الولايات المتحدة تُحمل إيران المسؤولية عن هجمات «الحوثيين» التي تهدد حركة التجارة العالمية عبر البحر الأحمر؛ كما أن وكلاء إيران في العراق وسوريا ولبنان والذين يوجهُ بعضهم الضربات للقوات الأمريكية محسوبون على إيران، ناهيك عن أن واشنطن تنظر بانزعاج إلى عودة إيران لإنتاج مزيد من اليورانيوم المخصب بنسبة 60% مستغلةً الظروف الجارية في المنطقة.

تقرير الحالة الإيرانية

نوفمبر وديسمبر 2023م

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

تقرير الحالة الإيرانية

نوفمبر وديسمبر 2023

WWW.RASANAH-IIIS.ORG